الباب الثالث

مِن نَتَائِج إسْلام الوَجْه لله

الفصل الأول

الجِهَاد

إن إسلام الوجه لله جوهر شخصية المسلم ، وهذا الجوهر يقوم على دعامة ذات عنصرين هما :

العلم ، والعبادة.

فإذا ما تحقق هذا الجوهر فإن له نتائج تنبثق عنه ، ومن أولى هذه النتائج :

الجهاد فى سبيل الله ..

أى: الجهاد حتى يسود إسلام الوجه لله ، أو الجهاد من أجل سيادة إسلام الوجه لله.

وما من شك فى أن المبدأ الذى يغمر جميع أقطار النفس فتتشبع به ، يفيض عنها منتشراً فى الأفق أو الآفاق على حسب قوته الدافعة، فإذا ما تشبعت النفس بإسلام الوجه لله فإنه لا مناص من أن تجاهد فى سبيل نشره .

على أن الإسلام لم يترك أمر الجهاد للحرية الفردية أو للاختيار الشخصى، أو للاتفاق والمصادفة، وإنما أراد أن يجعل منه طابعاً للمسلم، وشارة ملازمة ، وعنصراً فى شخصيته، لقد أراد الإسلام أن تتحقق بالفعل ثمرة إسلام الوجه لله عند جمهور المسلمين ،وأن يتبينها من غفل عنها، وأن تتضح فى ذهن من لم يكن متنبهاً إليها، فمن أسلم وجهه لله حقاً لا مناص من أن يعمل على أن يسلم

الآخرون وجوههم لله سبحانه، وإلا كان إسلام وجهه لله أشبه بالنظرى منه بالحقيقى.

ولقد حدد الإسلام بتسميته ـ نفسها ـ رسالة الأمة الإسلامية بأنها «الإسلام»، أو هى أن تسلم الإنسانية وجهها لله ، ولقد كلف الإسلام الأمة الإسلامية بذلك ووضع مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر موضع المبادئ الدينية المقررة بل جعله من الأسس التى تقوم عليها خيرية الأمة الإسلامية وتميزها عن غيرها.

فالأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، لأنها تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله، يقول تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(١).

ويلاحظ ـ من ترتيب الآية الكريمة ـ مدى الاهتمام الكبير بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقد ذكرهما الله سبحانه قبل الإيمان به؛ لينبه الأذهان إلى أهميتهما، وإن كان من المعلوم أن الإيمان بالله أساس كل عمل صالح، وأنه بدونه لا تكون النجاة ولا الفلاح.

وفى مقابل ذلك يلعن الله الذين كفروا من بنى إسرائيل لأنهم لم يكونوا يتناهون عن منكر فعلوه ، يقول تعالى :

(١) سورة آل عمران : ١١٠.

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾(١).

وما الأمر بالمعروف ، وما النهى عن المنكر فى الأمة الإسلامية إلا وسيلة من وسائل الجهاد فى سبيل الله.

والجهاد فى سبيل الله أوسع دائرة ، وأبعد مدى من أن يقتصر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقد يكون المنكر مستقراً ثابتاً أو قوياً جارفاً بحيث لا يجدى فيه الكلام والوعظ والنصائح ولابد من استعمال آلة القتال : يداً كانت أو سيفاً أو مدفعاً .

إن الشر أحياناً يحتاج إلى وسيلة أقوى من الكلام ، وفى هذا النوع من الشر يقول شوقى :

والشَّرُّ إِنْ تَلْقَهُ بِالخَيْرِ ضِقْتَ بِهِ ذَرْعاً وَإِنْ تَلْقَهُ بِالشَّرِّ يَنْحَسِمِ

ولقد بين الإسلام وسائل الجهاد بحسب الظروف والملابسات وبحسب الإمكانات والاحتمالات .

عن ابن مسعود رضي الله عنه ـ فيما رواه الإمام مسلم ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« ما من نبيٍّ بعثه الله فى أمَّة قبلى إلا كان له من أمته حواريُّون ،

(١) سورة المائدة : ٧٨ ، ٧٩.

وأصحاب يأخذون بسُنَّته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلُف من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ،ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّةُ خَرْدَلٍ »(١).

إن الدين الإسلامى رسالة أوجب الله نشرها وإذاعتها على الأمة الإسلامية ، وكما أوجب الله نشرها وإذاعتها فى جانب العقيدة ، فقد أوجب نشرها وإذاعتها فى جانب الأخلاق ، فى جانب الخير، فى جانب الفضيلة ، فى جانب العدالة ، فى جانب الرحمة ، وهذا الحديث الشريف بيان لأصل من الأصول الإسلامية الكبرى فى إصلاح المجتمع وفى القيام على توجيهه التوجيه الصحيح.

والمجتمع ـ أى مجتمع كان ـ تختلف إمكانات أفراده بحسب أوضاعهم وأمكنتهم فى المجتمع، فبعض الناس مسيطرون مهيمنون فى أيديهم سلطة القانون وسلطة تنفيذه ، وهؤلاء عليهم واجب الجهاد باليد، أى : الجهاد بسلطة القانون الذى بأيديهم، وأن يقوم جهادهم على أساس من الدستور الإسلامى وهو القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ القولية والعملية، وبعض أفراد المجتمع هيَّأ الله لهم جو المعرفة والعلم ، فنهلوا من هذا المعين العذب ، وهؤلاء عليهم

---

(١) رواه مسلم .

أن يبشروا بالفضيلة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً عن طريق الموعظة والإقناع والحجة والبرهان.

وتأتى ـ بعد ذلك ـ الطبقة التى تجاهد بقلبها، وهذه الطبقة وإن كانت ـ فى المرتبة الأولى ـ طبقة الذين لا يستطيعون الجهاد باليد، ولا الجهاد باللسان، فإنها فى حقيقة الأمر تعم جميع أفراد الأمة، أى أن المجاهد بيده يجب أن يكون فى الوقت نفسه مجاهداً بقلبه . .

والمجاهد بلسانه يجب فى الوقت نفسه أن يكون مجاهداً بقلبه وينتفى الإيمان فى وضعه السليم الصادق بانتفاء الجهاد القلبى . والجهاد القلبى معناه: عدم الرضا عن فعل المنكر ، ومظهر عدم الرضا إنما هو اعتزال فاعل المنكر إذا لم يَرْعَوِ ولم يأخذ بالنصيحة ، فإذا كان تاجراً لا يشترى الإنسان منه، وإذا كان مشترياً لا يبيعه، وإذا كان صديقاً يقطع صداقته ، فلا يؤاكله ولا يشاربه ولا يجالسه ، وإذا كان مرشحاً لأية هيئة نقابية ـ مثلاً ـ لا يساعده ، ولا يعينه ولا ينتخبه.

وذلك أن المجاهر بالمنكر مُحَادٌّ لله ورسوله ، وجزاء الذين يحادون الله ورسوله معروف، وقد حرم الله سبحانه أن يعقد المؤمن صداقة ومودة بينه وبين الذين يجاهرون بالمنكر فقال سبحانه:

﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

هذا هو الجهاد القلبى ، إنه ليس جهاداً سلبياً بمعنى الكلمة ، وإنما هو فى حقيقة الأمر علاج حاسم للمجاهرين بالمنكر وذلك أن المجاهر بالمنكر حينما يشعر بنفسه مهيناً فى المجتمع ، وحينما يشعر بأن الناس يتحاشونه كما يتحاشون وباء خبيثاً فإنه يعود مضطراً أو مختاراً إلى الجادة.

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » (٢).

وصوَّر رسول الله ﷺ المجتمع ووجوب الأخذ على يد المفسد فيه ـ حتى لا يكون الهلاك ـ بالصورة الرائعة التالية التى رواها

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢.

(٢) رواه مسلم .

الإمام البخارى، عن النعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ قال:

« **مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استَهَمُوا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استَقَوا من الماء مَرُّوا على مَنْ فوقهم ، فقالوا : لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ مَنْ فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ، ونَجَوْا جميعاً** » (١).

وروى الترمذى عن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ قال:

« **والذى نفسى بيده لتأمرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** »(٢).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال:

« **أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**»(٣).

ولقد هدد رسول الله ﷺ الأمة الإسلامية إذا تهاونت فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقال ﷺ فيما رواه أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه :

« **إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يَلْقَى**

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه الترمذى وأبو داود .

الرجل فيقول : يا هذا، اتق الله، ودَعْ ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد ، وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده؛ فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١).

ثم قال:

« كَلاَّ والله لتأمرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر ولتأخذنَّ على يد الظالم ، ولتَأْطُرُنَّه على الحق أَطْراً ، ولتَقْصُرُنَّه على الحق قَصْراً، أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم »(٢).

وقد بيَّن سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ، وجوب الأخذ على يد الظالم : فعنه رضي الله عنه قال:

« يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية :

(١) سورة المائدة : ٧٨ ـ ٨١ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾[1]..

وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب منه »[2].

وسبيل الله الذى من أجله كان الجهاد بوسائله المختلفة ، قد بينه الله فى القرآن الكريم تفصيلاً، إن الله قد بين بالتفصيل ما يتضمنه إسلام الوجه لله .

إن إسلام الوجه لله يتضمن التوحيد فى العقائد .

والعدل فى المعاملات.

والرحمة فى الأخلاق.

ويتضمن النَّصْفة من النفس فى كل الأحوال.

وما خالف ذلك فإنما هو المنكر .

إنه الشرك فى العقائد .

وإنه الظلم فى المعاملات .

وإنه الغلظة وقساوة القلب فى الأخلاق .

ومن أجل إزالة المنكر بجميع ضروبه، كان الجهاد بأوسع معانيه.

---

(١) سورة المائدة : ١٠٥.

(٢) رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة .

الجهاد الحربي

ولقد بيَّن الله سبحانه بعض أنواع المنكر ، التى شرع الجهاد لإزالتها ومن الآيات التالية نتبين بعض هذه الأنواع :

يقول تعالى:

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[1] .

ويقول تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[2] .

أما الآية الأولى التى أذنت بالجهاد وأباحته فقد تضمنت أيضاً بعض أسباب هذا الإذن وهذه الإباحة :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾[3] .

---

(١) سورة النساء : ٧٤ ، ٧٥.

(٢) سورة النساء : ٧٦.

(٣) سورة الحج : ٣٩ ، ٤٠

وقد جاء هذا الإذن حينما أصبحت الأمة الإسلامية بحالة تمكنها من رد الظلم والدفاع عن الحق ونشر رسالة السماء.

ولأن الأمة الإسلامية قد كلفها الله تكليفاً وفرض عليها فرضاً أن تبلغ رسالته سبحانه وأن تقوم عليها وتتكفل بتحقيقها فى نفسها، والعمل على إذاعتها وتحقيقها فى خارج أقطارها حتى يكون الدين كله لله، وحتى لا تكون فتنة ولا ظلم ، وحتى يزول الشرك أجمع..

نقول : لأن الأمة الإسلامية هذه رسالتها ، وهذه الرسالة لابد لها من الكفاح المستميت، فقد أوجب الإسلام الجهاد إيجاباً، وشجع عليه بكل السبل الممكنة، واستعمل ـ فى جعله من الخصائص المميزة للأمة الإسلامية ـ كل الوسائل حتى يصبح وكأنه من طبيعة الأمة.

لقد بيَّن الإسلام :

١ـ غايات الجهاد الشريفة ، وأنه من أجل رسالة . .

هذه الرسالة ليست من صنع بشر يخطئ ويصيب وإنما هى صنع الله، وأنزلها على لسان رسوله بالتعبيرالإلهى نفسه ، أى أنها فى غاية الإحكام والدقة أسلوباً وشكلاً ، كما أنها فى غاية الدقة والإحكام جوهراً، لأنها من لدن حكيم خبير.

لقد أحكم آياتها حكيم ، وفصَّل آياتها خبير، فهى متضمنة فى كتابٍ:

﴿ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1] .

ولقد تكفَّل الله بحفظه على مر العصور والأيام ، فلا يتغير ولا يتبدل:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2].

٢ـ وبيَّن سبحانه أن الشجاعة لا تقصر الأجل ،وأن الجبن لا يطيل الأجل ؛ ذلك أن الآجال محددة :

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[3].

وقد بيَّنَّا ذلك فيما سبق.

٣ـ وبيَّن سبحانه أن التفرغ للقتال لا يصرف عن الإنسان الرزق، فالرزق مضمون قد ضمنه الله تعالى، وأقسم سبحانه على ذلك حتى لا يغمر القلق أقطار النفس الإنسانية من أجل الرزق، وقد بيَّنَّا ذلك أيضاً فيما مضى.

٤ـ وبيَّن سبحانه أن الاستئذان فى التخلف عن الجهاد يتنافى مع الإيمان ، بل يتعارض معه ، بل ينتفى الإيمان عند التخلف مع القُدرة :

---

(١) سورة هود : ١.
(٢) سورة الحجر : ٩.
(٣) سورة الأعراف : ٣٤.

﴿ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

٥ـ وموالاة الأعداء كفر :

﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

٦ـ والجهاد تجارة مع الله، وهي تجارة رابحة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة : ٤٤ ، ٤٥.

(٢) سورة المجادلة : ٢٢.

(٣) سورة الصف : ١٠ ـ ١٣.

٧ ـ وإذا انتهى الجهاد إلى الاستشهاد فالمصير الجنة والقرب من الله، وفى القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة ، أروع وأجمل تصوير لمكانة الشهيد فى الآخرة.

يقول تعالى :

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) ﴾(١).

ويقول سبحانه :

﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ (١٥٤) ﴾(٢).

أما الأحاديث فمنها هذا الحديث الرائع حقاً:

يحدِّث ابن كثير أن رسول الله ﷺ لما رأى جابر بن عبد الله مهتماً لاستشهاد أبيه فى غزوة أحد قال له مطمئناً ومبشِّراً:

« **ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟ فقال جابر : قلت : بلى . قال : ما كَلَّمَ الله أحداً قَطُّ إلا من وراء حجاب ، وإنه كَلَّم أباك كفاحاً**(٣). (والكفاح : المواجهة).

---

(١) سورة آل عمران : ١٦٩ ـ ١٧١.

(٢) سورة البقرة : ١٥٤.

(٣) رواه الترمذى وحسَّنه، وابن ماجه بإسناد حسن أيضاً. والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

قال: سَلْنِى أُعْطِكَ. قال : أسألك أن أُردَّ إلى الدنيا فأُقتل فيك ثانية. فقال الرب عز وجل : إنه قد سبق منى القول بأنهم إليها لا يرجعون. قال: أى رب فأبلغ من ورائى ».

(أى : أبلغهم بهذه النعمة الكبرى التى يتقلَّب فيها الشهيد فى الجنة) . .

فأنزل الله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) .

فالشهيد سعيد باستشهاده ، ويتمنى أن لو أعيد إلى الدنيا مرة أخرى ليكون شهيداً من جديد.

ومن الأحاديث أيضاً أن حارثة بن سراقة قد استشهد فى غزوة بدر فأتت أمه ـ وهى بنت البراء ـ رسولَ الله ﷺ فقالت:

يا رسول الله ، ألا تحدثنى عن حارثة ؟ فإن كان فى الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك ، اجتهدت عليه فى البكاء ؟

فقال ﷺ :

---

(١) سورة آل عمران : ١٦٩ ـ ١٧١ .

« يا أم حارثة ، إنها جِنَانٌ فى الجنة، وإن ابنك أصاب الفِرْدَوسَ الأعلى ».

وروى الإمام البخارى والإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال :

« ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شىء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيُقتل عشر مرات لما يَرى من الكرامة ».

وفى رواية : « لما يرى من فضل الشهادة ».

٨ ـ أما الآية الكريمة التى يقول عنها صاحب الكشاف :

« ولا ترى ترغيباً فى الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية ».. فهى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[1] .

يقول صاحب الكشاف:

« ولا ترى ترغيباً فى الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية :

---

(١) سورة التوبة : ١١١ .

لأنه أبرزه فى صورة عقد ،عاقده رب العزة. .

وثمنه مـا لا عـين رأت ولا أذن سـمعـت ولا خطر على قلب بشر، ولم يجـعل المعقود عليه كـونهم مقتولين فـقط ، بل إذا كانوا قاتلين أيضـاً لإعلاء كلمته ونصـر دينه ، وجعله مسـجلاً فى الكتب السمـاوية، وناهيك به من صك ، وجعل وعده حقـاً ولا أحد أوفى من وعده ، فنسيئه أقوى من نقد غيره ، وأشار إلى ما فيه من الربح والفوز العـظيم ، وهو استعـارة تمثيليـة، صوَّر جهـاد المؤمنين وبذل أموالهم وأنفسهم فيه وإثابة الله لهم على ذلك الجنة بالبيع والشراء .

وأتى بقوله « يقاتلون ». . إلخ ،بياناً لمكان التسليم ،وهو المعركة وإليه الإشارة بقوله ﷺ :

« **الجنة تحت ظلال السيوف** »(١).

ثم أمضاه بقوله تعالى :

﴿ **وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾(٢) ».

٩ ـ أحاديث عن الجهاد:

عن أبى ذر رضي الله عنه قال:

« قلت: يا رسول الله، أى الأعمال أفضل ؟

---

(١) أخرجه البخارى فى « كتاب الجهاد » ، فى باب « الجنة تحت بارقة السيوف » عن عبد الله بن أبى أوفى .

(٢) سورة التوبة : ١١١ .

قال: الإيمان بالله ، والجهاد فى سبيله »[1].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ ماتَ ولم يَغْزُ، ولم يحدِّث نفسَه بغَزْوٍ ، ماتَ على شُعْبةٍ من النِّفاق » [2].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« والذى نفسى بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلَّفوا عنِّى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلَّفت عن سرية تغزو فى سبيل الله، والذى نفسى بيده لوددتُ أن أُقتل فى سبيل الله ثم أحيا ، ثم أُقتل ثم أحيا ، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل » [3].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه ـ فيما رواه الترمذى ـ قال:

« مَرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشِعْب فيه عُيينة من ماء عذبة فأعجبته ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشِّعْب، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال:

« لا تفعلْ ، فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاماً ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا فى سبيل

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) أخرجه البخارى .

الله ، من قاتلَ فى سبيل الله فوق ناقة وجبتْ له الجنة »[1].

وروى أبو داود بإسناد جيد ، عن أبى أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ، ائذن لى فى السياحة ، فقال النبى ﷺ :

« إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله عز وجل » [2].

وروى أبو داود بإسناد صحيح ، عن أبى موسى رضي الله عنه أن النبى ﷺ كان إذا خاف قوماً قال:

« اللهمَّ إنَّا نجعلكَ فى نُحُورِهم ، ونَعُوذُ بكَ مِنْ شُرورِهم » [3].

وكان رسول الله ﷺ فى غزواته الكثيرة التى قادها بنفسه وفى أوامره للقادة حينما لا يذهب مع الحملة ، مثلاً تطبيقياً واقعياً لما يحبه الله للمسلم : مجاهداً شجاعاً ، لا يولّى يوم الزحف، ولا يوالى الأعداء.

ورسول الله ﷺ لم يتراجع فى موقعة قط : إنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يتراجع فى أحد ، وهو ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يتراجع يوم حُنين.

وإذا أسلم المسلم وجهه لله مؤسِّساً ذلك على العلم المستنير ، وعلى العبادة الصادقة ، فإنه ـ لا محالة ـ مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله .

(١، ٢، ٣) رواه أبو داود .

والجهاد ـ إذن ـ طابع المسلم الصادق .

وإذا كان العلم من أسس إسلام الوجه لله ، فإن الجهاد من ثمار إسلام الوجه لله :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[1] .

❑❑❑

(١) سورة الحجرات : ١٥